من مجموع خطب فضيلة الشيخ محمد سعيد رسلان

وقفات مع سيد قطب

٢ مع سيد قطب رحمه الله

لفضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

قرأه وعلق عليه ووضع حواشيه

أبو محمد السبكي







الخطبة الأولى

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا، ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ له، وَأَشْهَدُ أَن لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أَمَّا بَعْدُ:

فإن من أُصول الاعتقاد عند أهل السنة، من أتباع محمد ﷺ على الحقيقة:

أنهم تسلم صدورهم لأصحاب رسول الله ﷺ، وأنهم يسلم الأصحاب -رضوان الله عليهم- من ألسنتهم، يمدحون الأصحاب ويثنون عليهم بما هم له أهل، ويَكُفون عما شجر بين الأصحاب -رضوان الله عليهم- بعد موت النبي ﷺ.

الكفُّ عما شجر بين الأصحاب -رضوان الله عليهم-، والامتناع والإمساك عن ذكر ذلك، وقراءته و إقرائه، بل وإعدام الكتب التي تنطوي على شيء من ذلك؛ موقف واضح صريح لأهل السنة، ولا يكون سنيًّا ولا سلفيًّا من يرضى عن إساءة لواحد من أصحاب النبي ﷺ، ولا يكون صحيح الاعتقاد من يرضى بوجود كتاب فيه انتقاص لواحد من أصحاب النبي ﷺ؛ لا يجتمعان، ولجمعك النار والماء في يد أهون وأسلم و أبقى في ضمير المرء وفي سلامة العقل من الجمع بين صحة المعتقد والرضاء عن الإساءة إلى واحد من أصحاب النبي ﷺ.

موقف فارق هو أصحاب النبي ﷺ فيما ينبغي من تعزيرهم وتوقيرهم واحترامهم، والدفاع عنهم عند انتقاصهم، وسلامة الصدر لهم، موقف فارق بين من كان كذلك وكان منتميًا إلى ما جاء به النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا، ومن يعتدي على جناب أصحاب رسول الله ﷺ، وهم حملة الشريعة، وهم نقلة الآثار، وهم الذين بلغوا الدين عن المختار ﷺ؛ عدول كلهم، فإذا جُرِحَ شهداؤنا، وإذا جرح نَقَلَة الشرع إلينا وإلى الأمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ فهذا سعي في إبطال الشريعة، وهو اتهام وتنقيص للرسول ﷺ أنه ظل تلك المدة المتطاولة يربي أصحابه -رضوان الله عليهم- فلم يصح له منهم

أحد، فكأنما يرمون النبي ﷺ بالفشل في تربيته وفي تعليمه وفي تهذيبه ﷺ(١).

بل إن في انتقاص أصحاب النبي ﷺ اتهام لرب العزة -جل وعلا- بعدم الحكمة وعدم العلم؛ لأن الله رب العالمين علم ما سيكون منهم بعدُ، ومع ذلك أنزل القرآن شاهدًا ومزكيًا لهؤلاء الأصحاب ممن تبع محمدًا ﷺ، فإن الله رب العالمين زكاهم في كثير من المواطن، وقد علم ما سيكون منهم، وبين أنه غفر لهم، فإذا جاء من يقول : إن الأصحاب -رضوان الله عليهم- لـم يكونوا كذلك ولا عند ذلك؛ فكأنما يتهم الله رب العالمين في علمه، وفي حكمته، وفي بلاغه لهذه الأمة -سبحانه وتعالى سبحانه-(٢).

وإذن؛ فينبغي على كل مسلم حريص على دينه شحيح بيقينه متبع لنبيه ﷺ

---

(١) قال مالك ﷺ: «إنما هؤلاء قوم أرادوا القدح في النبيﷺ فلم يمكنهم ذلك؛ فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء، كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحًا كان أصحابه صالحين».

وقال أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول اللهﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة».

(٢) **قال الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة، لما أثنى الله عليهم في كتابه، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول اللهﷺ؛ رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل، والجزاء الجميل».

أن يبحثَ هذا الأمر بحثًا دقيقًا ممحصًا؛ من أجل أن تكون قدمه على الصراط المفضي إلى الجنة خلف نبيهﷺ.

ولا يعلم كثير من المسلمين الطيبين أن من عقيدة أهل السنة، وأن من أصول الاعتقاد: أنه يجب الكف والإمساك والامتناع عن الكلام فيما شجر بين الأصحاب -رضوان الله عليهم أجمعين-، هذا أصل من أصول اعتقادك أيها المسلم المتبع أن تكف عما شجر بين الأصحاب -رضوان الله عليهم-، وأن تمتنع عن ذكر ما كان هنالك مما دار بينهم، هذا أصل من أصول الاعتقاد إن لـم تفعله ففي اعتقادك ما يسوء.

قال النبي ﷺ: «**إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذُكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذُكر القدر فأمسكوا**»[(١)].

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ٧٨/ ٢)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠٨) من حديث عبد الله بن مسعود.

قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (١/ ٥٠ طبع الثقافة الإسلامية): «رواه الطبراني من حديث عبد الله بن مسعود بإسناد حسن».

وتبعه الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٤٧٧).

قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٣٤): «وجدت للحديث شاهدًا مرسلًا أخرجه عبد الرزاق في الأمالي (٢/ ٣٩/ ١): ثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه مرفوعًا به.

قلت -أي: الألباني-: وهذا سند صحيح لولا إرساله، ولكنه مع ذلك شاهد قوي لما قبله من الشواهد والطرق، وبخاصة الطريق الأول الذي حسَّنه الحافظان العراقي والعسقلاني فيقوى الحديث به. والله أعلم».

وهذا الحديث حسنه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»[١]. وحسنه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[٢]. وصححه الشيخ ناصر في «السلسلة الصحيحة»[٣]، وفي «صحيح الجامع»[٤]، وهو مروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الكبير»[٥]، وأبو نعيم في «الحلية»[٦]، ورواه ابن عدي واللالكائي[٧]، وروى الحديث أيضًا الطبراني عن ثوبان رضي الله عنه[٨]، ورواه ابن عدي عن ابن عمر رضي الله عنهما[٩]، ورواه عبد الرزاق في «أماليه» عن طاووس مرسلًا[١٠]. حديث ثابت

(١) تخريج الإحياء للحافظ العراقي (١/ ٥٠ طبعة دار الثقافة الإسلامية).

(٢) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١١/ ٤٧٧ السلفية).

(٣) السلسلة الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (١/ ١/ ٣٤).

(٤) صحيح الجامع الصغير للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (٥٤٥).

(٥) الجامع الكبير لأبي القاسم الطبراني (٢/ ٧٨/ ٢) تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي.

(٦) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (٤/ ١٠٨).

(٧) رواه اللالكائي في شرح أصول السنة (١/ ٢١٠ الإسلامية)، وابن عساكر (١٤/ ١٥٥/ ٢) عن النضر أبي قَحْذَم عن أبي قلابة عن ابن مسعود مرفوعًا.

(٨) حديث ثوبان، أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٧١/ ٢)، وأبو طاهر الزيادي في ثلاثة مجالس في الأمالي (١٩١/ ٢)، عن يزيد بن ربيعة قال: سمعت أبا الأشعث الصنعاني يحدث عن ثوبان به مرفوعًا.

(٩) حديث ابن عمر أخرجه ابن عدي (٢٩٥/ ١)، وعنه السهمي في «تاريخ جرجان» (٣١٥) من طريق محمد بن فضل، عن كرز بن وبرة، عن عطاء مرفوعًا به دون ذكر النجوم.

(١٠) أخرجه عبد الرزاق في الأمالي (٢/ ٣٩/ ١): ثنا معمر عن ابن طاوس، عن أبيه مرفوعًا به، فهو مرسل.

لا مغمز فيه ولا مطعن.

وفيه هذا الأمر الظاهر الجلي: «**إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا**». فما معناه؟

قال المناوي في «فيض القدير»: «إذا ذكر أصحابي أي: بما شجر بينهم من الحروب والمنازعات، أي: إذا ذكروا بغير جميل؛ فأمسكوا وجوبًا عن الطعن والخوض في ذكرهم بما لا يليق؛ فإنهم خير الأمة وخير القرون -رضوان الله عليهم أجمعين-»[1].

وذكر الخلال في «السنة» عن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه سُئِل عما جرى بين الصحابة -رضوان الله عليهم- فقال: «أمر أخرج الله يدي منه لا أُدخل لساني فيه»[2].

وقال إبراهيم النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عما جرى بين الصحابة -رضوان الله عليهم- قال: «تلك دماء طهر الله أيدينا منها أَفَنُلَطِخ ألسنتنا؟!».

ما لك؟!

وذكر الخلال في «السنة» أن أحمد بن الحسن الترمذي قال: «سألت أبا عبد الله، قلت: ما تقول فيما كان من أمر طلحة والزبير وعلي وعائشة، وأظنُّهُ ذكر معاوية؛ فقال الإمام أحمد: من أنا حتى أقول في أصحاب رسول الله ﷺ؟! كان بينهم شيء، الله أعلم»[3].

---

(١) فيض القدير للمناوي (١/ ٤٤٧).

(٢) السنة للخلال رقم (٧١٧).

(٣) السنة للخلال (٤٦٠).

وقال الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «شرح السنة»**: «وإذا رأيت الرجل يطعن على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه صاحب قول سوء وهوى؛ لقول رسول الله ﷺ: «**إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا**»، قد علم النبي ﷺ ما يكون منهم من الزلل بعد موته فلم يقل فيهم إلا خيرًا، ولا تُحَدِّث بشيء من زللهم، ولا حربهم، ولا ما غاب عنك علمه، ولا تسمعه من أحد يُحدثُ به، فإنه لا يَسلَم لك قلبُك إن سمعت»[1].

إي والله، فإنه لا يسلم لك قلبك إن سمعت.

وقال الإمام أبو عبد الله ابن أبي زَمَنِين الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «أصول السنة»**: «ومن قول أهل السنة: أن يعتقد المرء المحبة لأصحاب النبي ﷺ، وأن ينشر محاسنهم، وفضائلهم، ويمسك عن الخوض فيما دار بينهم»[2].

من أصول الاعتقاد عند أهل السنة: الإمساك عن الخوض فيما دار بين الأصحاب -رضوان الله عليهم-.

قال الإمام أبو عبد الله ابنُ بطة العُكْبَرِي -رحمه الله تعالى- في «الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة»: «نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ؛ فقد شهدوا المشاهد معه، وسبقوا الناس بالفضل؛ فقد غفر الله لهم، وأمرك بالاستغفار لهم، والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه ﷺ، وهو يعلم ما سيكون منهم، وأنهم سيقتتلون، وإنما فُضلوا على سائر الخلق لأن

(١) السنة للبربهاري رقم (٢٨) من طبعة الشيخ خالد الردادي.

(٢) أصول السنة، لابن أبي زمنين (ص٢٦٣) تحقيق الشيخ/ عبد الله البخاري.

الخطأ والعمد قد وُضِعَ عنهم، وكل ما شجر بينهم مغفور لهم»[١].

الذي أذكره ذكره إمام من أئمة أهل السنة في بيان اعتقاد أهلها يقول: «ولا تنظر في كتاب صفين والجمل ووقعة الدار- أي: في وصف مقتل عثمان رضوان الله عليه-، وسائر المنازعات التي جرت بينهم، ولا تكتبه لنفسك، ولا لغيرك، ولا تروه عن أحد، ولا تقرأه على غيرك، ولا تسمعه ممن يرويه -فعلى ذلك يقول-: اتفق سادات علماء هذه الأمة من النهي عما وصفناه، ما هو الذي وصفه؟ يعني: من النظر في كتاب صفين والجمل ووقعة الدار وسائر المنازعات التي جرت بينهم...

ثم ذكر بعضًا من سادات الأمة في اتفاقهم على هذا الأمر فقال: منهم - أي: من العلماء الناهين عن ذلك-: حماد بن زيد، ويونس بن عُبيد، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن إدريس، ومالك بن أنس، وابن أبي ذئب، وابن المبارك، وشعيب بن حرب، وأبو إسحاق الفزاري، ويوسف بن أسْبَاط، وأحمد بن حنبل، وبشر بن الحارث، وعبد الوهاب الوراق؛ كل هؤلاء قد رأوا النهي عنها، والنظر فيها - أي: في تلك الكتب-، والاستماع إليها، وحذروا من طلبها، والاهتمام بجمعها، أفتترك هؤلاء وتروي عن كَسْتُور بن ضَمُّور؟!.

وقد رُوي عنهم -رحمة الله عليهم- فيمن فعل ذلك أشياء كثيرة بألفاظ مختلفة متفقة المعاني على كراهة ذلك، والإنكار على من رواها واستمع إليها».

فهذه عقيدة أهل السنة في وجوب الإمساك عما شجر -أي: عن ذكر ما

(١) الشروح والإبانة على أصول السنة والديانة (ص٢٥٧-٢٦٥).

شجر- بين الصحابة، وفي وجوب الكف عن الكلام فيه ونحو ذلك.

وقال الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عقيدته «الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة» قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن قولهم -يعني: أهل السنة-: أن تُحسن القول في السادات الكرام أصحاب محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن تذكر فضائلهم، وتنشر محاسنهم، وتُمسك عما سوى ذلك مما شجر بينهم؛ لقول النبي ﷺ: «**إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا**» يعني: إذا ذُكِروا بغير جميل...ولقوله: «**الله الله في أصحابي**».

قال: ويجب أن يُلتمس لهم أحسنُ المخارج وأجمل المذاهب؛ لمكانهم من الإسلام، وموضعهم من الدين والإيمان، وأنهم أهل الرأي والاجتهاد، وأنصحُ الناس للعباد، وهم من قال الله -جل شأنه- فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧]»[١].

وقال الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» أو «عقيدة السلف أصحاب الحديث» قال: «ويَرَونَ -يعني: أهل السنة- الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وتطهيرَ الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبًا لهم ونقصًا فيهم»[٢].

وقال الشيخ عديُّ بن مُسَافر الهَكارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما يجب اعتقاده، قال: «والكف عما شجر بين أصحاب نبينا ﷺ، ونشر محاسنهم، والكف عما جرى

(١) الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة لأبي عمرو الداني (ص١٣٢).
(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث للإمام أبي عثمان إسماعيل الصابوني (ص٢٩٤) تحقيق: الشيخ بدر البدر.

بينهم، وأن الله قد غفر لهم»[١].

وقال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «العقيدة»**: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نُفْـرِط في حب أحد منهم كما فعلت الرافضة ادعـاءً لا محبة في علـي -رضوان الله عليه-...

قال: ولا نتبرأ من أحد منهم، ونُبغض من يُبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحُبهُم دين وإيمان وإحسان، وبُغضُهُم كفر ونفاق وطغيان»[٢].

وقال الإمام الموفق المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «لُـمعَـةُ الاعتقاد»**: «ومن السنة تَوَليهِم -يعني: أصحاب رسول الله ﷺ-، ومحبتهم، وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم، ومعرفة سابقتهم -رضوان الله عليهم أجمعين-»[٣].

وقال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «الواسطية» عن أهل السنة**: «ويُمسكون عما شجر بين الصحابة -رضوان الله عليهم-، ويقولون: إن الآثار في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زِيدَ فيه ونَقَص وغُيِّرَ عن وجهِهِ، والصحيح منه

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة، لعدي بن مسافر الهكاري (ص٣٨).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٩١)، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، نشرة المكتب الإسلامي.

(٣) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لابن قدامة المقدسي.

هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون»[(١)].

فَهُم دائرون بين الأجر والأجرين، وأما الذي يخوض فيهم فبين أي شيء يدور؟!

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «الوصية الكبرى»**: «وكذلك نؤمن بالإمساك عما شجر بينهم -يعني: الأصحاب -رضوان الله عليهم-»[(٢)].

وقال في «**منهاج السنة**»: «ولهذا أوصوا -يعني: أهل السنة من أصحاب الاعتقاد الصحيح والاتباع السليم- أوصَوا بالإمساك عما شجر بينهم؛ لأنا لا نُسأل عن ذلك»[(٣)].

تلك دماء طهر الله منها أيدينا فلم نلطخ بها ألسنتنا؟!

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «اللامِية»**:

يا سَائِلي عَنْ مَذْهَبِي وعَقيدَتِي ... رُزِق الْهُدىٰ مَنْ لِلْهِدايةِ يَسْأَلُ

اسمَعْ كَلامَ مُحَقِقٍ فِي قَولِهِ ... لا يَنْثَنِي عَنهُ ولا يَتَبَدَّلُ

حُب الصحابَةِ كُلهُمْ لي مَذْهَبٌ ... وَمَوَدةُ القُرْبىٰ بِها أَتوَسلُ

---

(١) العقيدة الواسطية، من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ١٥٥).

(٢) الوصية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، بتعليق الشيخ والوالد: أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان (ص٤١ - بتحقيقي).

(٣) منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦/ ٢٥٤).

وَلِكُلِّهِــــمُ قَــدْرٌ عَــلاَ وَفَـضَــائِــلُ ... لَكِـنَّمَا الـصِّدِيقُ مَـنْهُمْ أَفْـضَلُ[١]

يعني رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «ومودة القربى بها أتوسل» يعني: آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم يتوسل بحبهم لا بذواتهم، يتوسل بحبهم إلى الله رب العالمين، وبالسير على منهاجهم؛ إذ هم سائرون خلف النبي الأمين ﷺ.

«ولكلهم»: يعني: الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم وآل البيت -رضوان الله عليهم-.

حُـبُّ الـصحـابَةِ كُلـهُـمْ لـي مَـذْهَبٌ ... وَمَــوَدَةُ القُرْبَــىٰ بِهــا أَتَوَســـــلُ

وَلِكُلِّهـــمْ قَــدْرٌ عَــلاَ وَفَـضَــائِــلُ ... لَكِـنَّمَا الـصِّدِيقُ مِـنْهُمْ أَفْـضَلُ[٢]

رضوان الله عليه وعليهم أجمعين.

وقال السفاريني في بيان العقيدة -رحمه الله تعالى-:

وَاحْـذَرْ مِنَ الْخَوْض الذِي قَدْ يُزْرِي ... بِفَـضْلِهِمْ مِـمَـا جَـرَىٰ لَـوْ تَـدْرِي

فَإِنَّـــهُ عَـــن اجْــتِهَادٍ قَــدْ صَــدَرْ ... فَاسْـلَم أَذَل اللهُ مَـنْ لَهُـم هَجَـر[٣]

أذل الله من لهم هَجَر، أذل الله من لهم هَجَر، رضوان الله عليهم أجمعين.

وقال الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ **في «سُلم الوصول»**:

ثُــمَّ الـسُّكُوتُ وَاجِـبٌ عَمَّـا جَـرَىٰ ... بَيْـنَهُمْ مِــنْ فِعِـل مَــا قَـدْ قُـدِّرَا

(١) لامية شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) راجع اللآلئ البهية في شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية، للعلامة أحمد المرداوي، وانظر لزامًا: تعليق الشيخ صالح الفوزان عليها (ص٤٢).

(٣) حاشية الدرة المضية للعلامة عبد الرحمن بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي (ص١٢٥).

فَكُلُّهُمْ مُجْتَهِدٌ مُثَابُ وَخَطَؤُهُمْ يَغْفِرُهُ الوَهَّابُ[(١)]

ثم قال في شرح هذين البيتين في «معارج القبول»: «أجمع أهل السنة والجماعة، الذين هم أهل الحل والعقد الذين يُعتد بإجماعهم على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم، فهذا إجماعٌ ممن يعتد به من أهل الحل والعقد، وأصحاب العقيدة الصحيحة في هذه الأمة المرحومة.

إجماعٌ على أي شيء؟

على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد قتل عثمان رضي الله عنه، والاسترجاع[(٢)] على تلك المصائب التي أصيبت بها هذه الأمة، والاستغفار للقتلى من الطرفين، والترَحم عليهم، وحفظ فضائل الصحابة -رضوان الله عليهم-، والاعتراف لهم بسوابقهم، ونشر مناقبهم.

عملًا بقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]»[(٣)].

وقال أيضًا في «أعلام السنة المنشورة»: «الواجب للصحابة -رضوان الله

---

(١) سلم الوصول إلى علم الأصول، للشيخ حافظ الحكمي.

(٢) أي: من الإجماع أيضًا الذي أجمع عليه أهل الحل و العقد ممن يعتد بإجماعهم وبقولهم في دين الله تعالى الاسترجاع على تلك المصائب...

(٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للشيخ حافظ حكمي (٣/ ١٣٩٨).

عليهم- علينا: سلامة قلوبنا وألسنتنا لهؤلاء الأصحاب المكرمين -رضوان الله عليهم أجمعين-، ونشر فضائلهم، والكف عن مساويهم وما شجر بينهم، والتنويه بشأنهم، كما نوه تعالى بذكرهم في التوراة والإنجيل والقرآن، وثبتت الأحاديث الصحيحة في الكتب المشهورة من الأمات وغيرها في فضلهم -رضوان الله عليهم أجمعين-»(١).

النقول في هذا أكثر من أن يحاط بها؛ لكثرتها وطيب عَرفِها، وموفور بهائها، وكلها مجمعة على وجوب الكف والإمساك والامتناع عن ذكر ما شجر بين الأصحاب -رضوان الله عليهم- بعد مقتل عثمان -رضوان الله عليه-، كما نقل الإجماع عن ذلك غير واحد ممنْ يُعتد بهم من علماء هذه الأمة الذين يتبعون السنة، ويسيرون خلف النبي ﷺ(٢).

فما موقف أهل السنة من الكتب التي فيها ذِكر ما شجر بين الصحابة وقتالهم رضي الله عنهم ؟

قال الذهبي رحمه الله في «**سير أعلام النبلاء**»: «تقرر الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة وقتالهم -رضي الله عنهم أجمعين-، ومازال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف، وبعضه كذب، وهذا فيما

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، للشيخ حافظ حكمي، بشرح فضيلة الشيخ الوالد -حفظه الله- وتعليق أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد رسلان.

(٢) راجع فتح الوهاب في بيان عقيدة أهل السنة فيما شجر بين الأصحاب لأبي محمد عبد الله ابن محمد سعيد رسلان.

بأيدينا وبين علمائنا؛ فينبغي طيه وإخفاؤه -لا إذاعته وبثُّه ونشره-...

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فينبغي طيه وإخفاؤه بل إعدامه؛ لتصفو القلوب، وتتوفر على حب الصحابة -رضوان الله عليهم- والترضي عنهم، وكتمان ذلك مُتَعَين عن العامة وآحاد العلماء -كتمان تلك الكتب التي قد انطوت على ما فيه ثلب وتنقيص وحط من أصحاب رسول الله ﷺ، إعدام تلك الكتب واجب، وإخفاؤه وطيه واجب، ولا يُظهر شيء من ذلك للعامة ولا لآحاد العلماء، بَلْهَ طلاب العلم ولو كانوا كبارًا-، وقد يُرخص في مطالعة ذلك خَلوة للعالم المنصف الحري بأن يصل إلى الحق، العَرِيِّ من الهوى بشرط أن يستغفر لهم كما علَّمَنا الله حيث يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

أُمِروا بالاستغفار لهم، فلعنوهم بل وكفَّروهم وشتموهم وانتقصوهم، وما عرفوا لهم فضلهم، ولا ردوا لهم بعضًا من جميلهم عليهم كما سترى إن شاء الله رب العالمين، فالقوم لهم سوابق وأعمال مُكَفِّرَة لما وَقَعَ منهم، وجهاد مَحاءُ، وعبادة مُمَحصَةٌ -يعني: لله رب العالمين-»[1].

هذا كلام الإمام الذهبي -رحمة الله عليه-، وفيه: أنه ينبغي أن تُطوى تلك الكتب، وأن تُخفى، بل ينبغي أن تُعدم؛ لتصفو القلوب على محبة أصحاب

(١) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ عند سياقه ترجمة الإمام الشافعي محمد بن إدريس (١٠/ ٩٢).

نبينا ﷺ، ولا يُرخص في إبراز شيء من ذلك للعوام ولا لآحاد العلماء الذين لـم يتثبتوا بعد من القضية، ولـم يحيطوا بها علمًا، ولـم يبلغ بهم علمهم تلك القِمة السامقة الشامخة العالية التي يمكن إذا ما وصلوا إليها أن يدركوا المرامي التي كانت وراء بواعث الأصحاب -رضوان الله عليهم- فيما أتوا وما تركوا، وما قالوا وما عنه كفوا وسكتوا -رضوان الله عليهم أجمعين-[1].

عقيدة أهل السنة: أن تُمزق تلك الكتب، وأن تُحرق، وأن تعدم كما قال الذهبي الإمام -رحمة الله عليه-، وقد بدأ كلامه بقوله: «وقد تقرر» يعني: هذا ما عليه العلماء من أهل السنة من أصحاب الاعتقاد الصحيح والمنهج السوي، سلفًا وخلفًا.

وهذه فتوى للعلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ سُئِل عن قول سيد قطب رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «كتب وشخصيات» صفحة (٢٤٢) طبعة دار الشروق، فيما قاله عن معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال سيد: «**إن معاوية وزميله عمرًا لـم يغلبا عليًّا لأنهما أعرف منه بدخائل النفوس، وأخبر منه بالتصرف النافع في الظرف المناسب، ولكن لأنهما طليقان في استخدام كل سلاح، وهو مقيد بأخلاقه في اختيار وسائل الصراع، وحين يركن معاوية وزميله إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم، لا يملك علي أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل، فلا عجب ينجحان ويفشل، وإنه لفشل**

(١) لأن الصحابة -رضوان الله عليهم- دائرون بين الأجر والأجرين ونحن دائرون بين الوزر والوزرين.

أشرف من كل نجاح».

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **لما قُرِئ هذا عليه:** «كلام قبيح، هذا كلام قبيح، سب لمعاوية وسب لعمرو بن العاص، كل هذا كلام قبيح وكلام منكر».

قال السائل: قوله: «إن فيهما نفاقًا» أليس تكفيرًا؟ يعني: لهما -رضوان الله عليهما-.

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا خطأ وغلط لا يكون كفرًا؛ فإن سبه لبعض الصحابة أو واحدًا من الصحابة منكر وفسق؛ يستحق أن يُؤدب عليه، نسأل الله العافية.

ولكن إذا سب الأكثر أو فَسَّقهم يرتد؛ لأنهم - أي: الصحابة- حَمَلَة الشرع؛ إذْ سَبُّهُم معناه قدح في الشرع.

قال السائل: ألا يُنهى عن هذه الكتب التي فيها هذا الكلام؟

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغي أن تُمَزَق.

ثم قال الشيخ: هذا في جريدة؟

قال السائل: في كتاب، أحسنَ اللهُ إليك.

قال الشيخ: لمن؟

قال السائل: لسيد قطب.

قال الشيخ: هذا كلام قبيح.

قال السائل: في كتب وشخصيات».

وهذا إن أردت الرجوع إليه في شرح الشيخ  لرياض الصالحين، وكان في يوم الأحد (١٨/ ٧/ ١٤١٦) من هجرة المختار ﷺ[١].

فهذا موقف علماء أهل السنة سلفًا وخلفًا من الكتب التي فيها إساءة للأصحاب وانتقاص لهم -رضوان الله عليهم أجمعين-.

وهنا أمور لعل الله -تبارك وتعالى- يجعل في بيانها جمعًا للشمل المُفَرق، ورَتْقًا للفَتق المُمَزَّق:

أولًا:

بيان خطأ المخطئ، والكلام في الناس تعديلًا ومدحًا أو تجريحًا وقدحًا لا علاقة له بمقاديرهم عند الله، ولا بمصائرهم في الدار الآخرة؛ فهذا لله وحده، وبيان الخطأ والكلام جرحًا وتعديلًا عند الحاجة واجب على أهل العلم ممن توفرت فيهم شروطه، وحق للأمة في أعناق أهل العلم لا يسعهم -أعني: أهل العلم- عدم أدائه، ولا علاقة للكلام في بيان خطأ المخطئ وبدعة المبتدع بغفران الله رب العالمين للمخطئ أو للمبتدع، ولا بمصيره عند ربه، هذا بمعزلٍ عن الكلام فيه؛ هذا أمر يعلمه الله رب العالمين.

ذكر الخطيب في «الكفاية»: «أن عبد الرحمن بن أبي حاتم دخل عليه يوسف بن الحسين الرازي وهو الصوفي، وكان عبد الرحمن يقرأ في كتابه في «الجرح والتعديل»، فقال له يوسف الصوفي: كم من هؤلاء القوم قد حطوا

---

(١) راجع فتاوى العلماء في سيد قطب.

رحالهم في الجنة منذ مائة سنة أو مائتي سنة وأنت تذكرهم وتغتابهم؟! فبكى عبد الرحمن»[(١)].

وذكر ابن الصلاح رَحِمَهُ اللَّهُ **في كتابه «معرفة أنواع علم الحديث» المعروف بـ: «مقدمة ابن الصلاح»**: «قال يحيى بن معين رَحِمَهُ اللَّهُ: إنا لنطعن على أقوام لعلهم حطوا رحالهم في الجنة منذ أكثر من مائتي سنة»[(٢)].

نطعن عليهم ونبين أخطاءهم ونحذر الأمة من بدعتهم واجب ذلك وإلا فهو الدخول في إثم الكتمان، وهو مما يستوجب العذاب بالنيران.

فهذا أولًا، فبيان خطأ المخطئ وبدعة المبتدع، والكلام فيمن أساء لا علاقة له بمقادير الخلق عند ربهم، ولا بمصائرهم في الآخرة؛ فهذا لله وحده.

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥/ ٣٦٤)، والخطيب البغدادي في الكفاية (٢/ ١٥٦)، من طريق محمد بن الفضل العباسي قال: «كنا عند عبد الرحمن...» وذكره.
وأخرجه الخطيب في الجامع (٢/ ٣٠٠)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥/ ٣٦٥)، ثنا أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فضالة النيسابوري قال: سمعت أبا الربيع محمد بن الفضل البلخي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن مهرويه بن سنان الرازي يقول: سمعت علي بن الحسين بن الجنيد يقول: سمعت يحيى بن معين يقول: إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطُّوا رحالهم في الجنة منذ أكثر من مائتي سنة.
قال ابن مهرويه: فدخلت على عبد الرحمن بن أبي حاتم، وهو يقرأ على الناس كتاب «الجرح والتعديل» فحدثته بهذه الحكاية، فبكى، وارتعدت يداه حتى سقط الكتاب من يده، وجعل يبكي ويستعيد الحكاية، ولم يقرأ في ذلك المجلد شيئًا، أو كما قال.

(٢) مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح لابن الصلاح رَحِمَهُ اللَّهُ (النوع الحادي والستون): معرفة الثقات والضعفاء من رواة الحديث (ص٦٥٦، دار المعارف).

ثانيًا:

لابد من رعاية حق الدين ببيان الخطأ، وجرحِ من يستحقُّ الجرح، وذلك بعلم وعدل لا بجهل ولا بظلم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «مجموعة الرسائل والمسائل»**: «وجب بيان حال من يغلط في الحديث والرواية، ومن يغلط في الرأي والفُتيا، ومن يغلط في الزهد والعبادة، وإن كان المخطئ المجتهد مغفورًا له خطؤه، وهو مأجور على اجتهاده، فبيان القول والعمل الذي دل عليه الكتاب والسنة واجب، وإن كان في ذلك مخالفة قوله وعمله -يعني: وإن كان في بيان ذلك الواجب من المخالفة في القول والعمل لمن غلط كائنًا من كان ما فيه-...

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم القائل في ذلك بعلم لابد له من حسن النية، فلو تكلم بحق لِقَصدِ العلو في الأرض أو الفساد؛ كان بمنزلة الذي يقاتل حمية، وإن تكلم لأجل الله مخلصًا له الدين؛ كان من المجاهدين في سبيل الله رب العالمين ومن ورثة الأنبياء والمرسلين...

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قيل للإمام أحمد -رحمة الله عليه-: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل.

فبين-قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ شارحًا لكلام الإمام أحمد رحمة الله عليه- فبين -يعني: الإمام أحمد- إن هذا علم للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في

سبيل الله؛ إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعه ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفَسَدَ الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لـم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا -يعني: العدو من أهل الحرب لو استولى لـم يفسد القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا-، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً».

ثالثًا:

لما تأملتُ في الخلاف في مسألة الجرح والتعديل؛ وجدته في أمرين:

الأمر الأول: الخلافُ في أصل المسألة، يعني: في مسألة الجرح والتعديل ذاتها.

والأمر الثاني: الخلافُ في الأستاذ سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حَصْرًا.

فنظرتُ في الأمر الأول، وهو الخلاف في مسألة الجرح والتعديل ذاتها؛ فعجبت غاية العجب أن ينكر الجرح والتعديل من يأتي به في إنكاره نفسه؛ فإنه عند رده الكلام وقائله يكون جارحًا، وعند قبول ضده وقبول قائله يكون معدلًا، فهو في رده جارح معدل، ومع ذلك ينكر المسألة في أصلها.

أي ظلم هذا؟!

بل إن الناس لا يستطيعون العيش في الدنيا، ولا يستطيعون التعامل فيما بينهم إلا بجرح وتعديل ونقد وتبصير بالمعنى الأعم حتى في أقل شئونهم: بِعْ لهذا، ولا تَبع لهذا، فهذا ديِّن مليء يؤدي ما عليه -هذا تعديل-، والآخر مماطل

مماكس لا يؤدي ما عليه -هذا جرح-، واشترِ من هذا، ولا تشترِ من هذا؛ فهذا سَمْح في بيعه وشرائه -هذا تعديل-، وأخذه وعطائه -تعديل-، وهذا كَنودٌ عَسِر وكذاب أَشِر -هذا جرح-.

وعند المداواة والتطبب: استشر هـذا الطبيب؛ فإنـه حاذق بصير مؤتمن، ولا تستشر هذا فهو جاهل خائن لا يؤتمن -جرح وتعديل-.

وعند النكاح: أنكح فلانًا؛ فإنه عفيف ذو دين، ولا تُنكح فلانًا؛ فإنه شيطان من الشياطين -جرح وتعديل-.

إلى أشكال لا تُحصى يأتي فيها الناس بالجرح والتعديل بالمعنى الأعم، فإذا تعلق الأمر بالدين والعلم الشرعي المتين تبخر الجرح والتعديل وانمَحَيا.

إن هذا لشيء عُجاب!

ذكر مسلمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة الصحيح عن محمد بن سيرين -رحمه الله تعالى- قال: «إن هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم»[(١)].

---

(١) **هذا الأثر صحيح ورد من طرق عن ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ منها:**

الطريق الأول: أخرجه الدارمي في مقدمة السنن (١/ ١١٢)، وابن سعد في الطبقات (٧/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ١٥)، والرامهرمزي في المحدث الفاصل، رقم (٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٧٨)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٩١رقم ٨٤٦)، والسمعاني في أدب الإملاء (٢/ ٢٩٦-٢٩٧ رقم ١٥٠)، وابن الجوزي في مقدمة الموضوعات (١/ ١٤٥ رقم ٢٢٦).

كلهم من طرق عن ابن عون، عن ابن سيرين به.

الثاني: أخرجه ابن حبان في مقدمة المجروحين (١/ ٢١)، وابن عدي في مقدمة =

وهذا فتحٌ للباب على مصراعيه للجرح والتعديل حتى ولو كان في البدء بالمعنى الأعم: «إن هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم».

وهذا القول الذي ذكره الإمام مسلم في مقدمة الصحيح عن محمد بن سيرين، أرجعته إلى أبي هريرة -رضوان الله عليه- وغيره من أصحاب النبي ﷺ، كما ذكر ذلك ابن عبد البر في «التمهيد» وغيرُه في غيره، ومِثلُه لا يُقال من قِبَل الرأي فله حكم الرفع[1].

=

الكامل (١/ ١٥٦)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٩١ رقم ٨٤٤)، والهروي في ذم الكلام (٥/ ٦٠ رقم ١٣٨١)، كلهم من طرق عن مهدي بن ميمون قال: سمعت ابن سيرين وذكره.

ومهدي بن ميمون ترجم له الحافظ في التقريب، وقال: ثقة.

الثالث: أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح (١/ ٨٤)، وابن شاهين في تاريخ أسماء الضعفاء (ص٤٠)، وابن عدي في الكامل (١/ ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧)، وابن عبد البر في التمهيد (١/ ٤٦)، والهروي في ذم الكلام (٥/ رقم ١٣٨١).

جميعًا من طرق عن هشام، عن ابن سيرين قال: إن هذا الحديث دين؛ فانظروا عمن تأخذوا دينكم.

وهشام هو ابن حسان القُرْدُوسي ثقة، من أثبت الناس في ابن سيرين.

(١) ذكر ذلك سماحة الشيخ الوالد أبي عبد الله -حفظه الله تعالى- في رسالته الماتعة المقدمة لنيل درجة الدكتوراه (العالمية) المسماة: «**الرواة المبدَّعون من رجال الكتب الستة**» والتي حازت مرتبة الشرف الأولى -بفضل الله ومنِّه- (ص٣١٥)، وهي مخطوطة لـم تطبع بعد. ولـم يسبقه إلى ذلك أحد -بفضل الله- وقد كانت درة مصونة، ولؤلؤة مكنونة، وحورية مخبأة، حتى فتق رتقها الوالد -حفظه الله تعالى-.

=

فهذا هو الأمر الأول: النظر في أصل المسألة لمعرفة سبب الخلاف الدائر حولها.

وأما الأمر الثاني من أَمْري الخلاف في مسألة الجرح والتعديل: فهو الخلاف المتعلق بالأستاذ سيد قطب -عفا الله تعالى عنه-؛ فوجدت ذلك أعجب وأعجب؛ لأن سيدًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو أكبر الجارحين من المتأخرين، نعم هو أكثر من مارس الجرح في العصور المتأخرة، ولا تعجب؛ فإن الرمي بالكفر هو أكبر جرح يكون.

هل تعلم جرْحًا هو أكبر من الرمي بالكفر والوصم به؟!

فسيد -رحمه الله تعالى- إمام الغلاة في الجرح بلا منازع، ومع ذلك يدور الخلاف حول جرحه وتعديله.

هو -رحمه الله تعالى- إمام الغلاة في الجرح في العصور المتأخرة بلا منازع -رحمة الله عليه-، فقد كَفَّر المجتمعات الإسلامية كلها، بل كفر البشرية جميعها.

=

وهذا الأثر أخرجه ابن عبد البر في التمهيد من قول أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذونه».

وأخرجه أيضًا من قول أنس من طريق شعيب بن الحبحاب الأزدي قال: غدوت إلى أنس بن مالك فقال: يا شعيب! ما غدا بك؟فقلت: يا أبا حمزة! غدوت لأتعلم منك، وألتمس ما ينفعني، فقال: يا شعيب إن هذا العلم دين فانظر ممن تأخذه.

وعلى هذا يكون هذا الحديث من قسم المرفوع، لأن مثله لا يقوله الصحابة من قبل الرأي فهو في حكم المرفوع له صلى الله عليه وسلم.

وقبل أن أسوق إليك بعض نصوص سيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك، أذكر لك شهادة الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه «أولويات الحركة الإسلامية» صفحة (١١٠) قال: «في هذه المرحلة ظهرت كتب الأستاذ سيد قطب التي تمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره، والتي تنضح بتكفير المجتمع، وتعجيل الدعوة إلى النظام الإسلامي بفكرة تجديد الفقه وتطويره، وإحياء الاجتهاد، وتدعو إلى العُزلة الشعورية عن المجتمع، وقطع العلاقة مع الآخرين، وإعلان الجهاد الهجومي على الناس كافة...»[(١)]. إلى آخر كلامه.

وهذا بعض ما قال سيد -عفا الله عنه- في تكفير البشرية:

قال سيد -عفا الله عنه- في «الظلال» في المجلد الثاني صفحة (١٠٥٧) قال: «لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية، وعادت البشرية إلى مثل الموقف الذي كانت فيه، يوم تَنَزَّل هذا القرآن على رسول الله ﷺ، ويوم جاءها الإسلام مَبْنِيًّا على قاعدته الكبرى: «شهادة أن لا إله إلا الله»؛ شهادة أن لا إله إلا الله بمعناها الذي عبَّر عنه ربعي بن عامر رَسولُ قائد المسلمين إلى

(١) وهذا باقي كلام القرضاوي -عفا الله عنه- وتمامه من أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة (ص١١٠): «...والاستخفاف بدعاة التسامح والمرونة، ورميهم بالسذاجة والهزيمة النفسية أمام الحضارة الغربية.
يتجلى ذلك أوضح ما يكون في تفسير الشهيد «في ظلال القرآن» في طبعته الثانية، وفي «معالـم على الطريق» ومعظمه مقتبس من «الظلال»، وفي «الإسلام ومشكلات الحضارة» وغيرها، وهذه الكتب كان لها فضلها وتأثيرها الإيجابي الكبير، كما كان لها تأثيرها السلبي».

رستم قائد الفرس، وهو يسأله: ما الذي جاء بكم؟ فيقول: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام...

وهو يعلم أن رستم وقومه لا يعبدون كسرى بوصفه إلهًا خالقًا للكون، ولا يقدمون له شعائر العبادة المعروفة؛ ولكنهم إنما يتلقون منه الشرائع، فيعبدونه بهذا المعنى الذي يُناقض الإسلام ويُنافيه؛ فأخبره أن الله ابتعثهم ليخرجوا الناس من الأنظمة والأوضاع التي يعبدُ العبادُ فيها العبادَ، ويُقرُّون لهم بخصائص الألوهية، وهي الحاكمية والتشريع والخضوع لهذه الحاكمية والطاعة لهذا التشريع -وهي الأديان-... إلى عبادة الله وحده وإلى عدل الإسلام.

لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بـ: لا إله إلا الله، فقد ارتدَّت البشرية إلى عبادة العباد وإلى جور الأديان، ونكصت عن لا إله إلا الله، وإن ظل فريق منها يردد على المآذن: «لا إله إلا الله» دون أن يدرك مدلولها، ودون أن يعني هذا المدلول وهو يرددها، ودون أن يرفض شريعة الحاكمية، التي يدَّعيها العباد لأنفسهم -وهي مرادف الألوهية- سواء ادَّعوها كأفراد، أو كتشكيلات تشريعية، أو كشعوب، فالأفراد، كالتشكيلات، كالشعوب، ليست آلهة، فليس لها إذن حق الحاكمية ... إلا أن البشرية عادت إلى الجاهلية، وارتدَّت عن لا إله إلا الله، فأعطت لهؤلاء العباد خصائص الألوهية، ولم تَعُدْ تُوحد الله، وتخلص له الولاء.

البشرية بجملتها، بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات: لا إله إلا الله، بلا مدلول ولا واقع... وهؤلاء أثقل إثمًا وأشد عذابًا يوم القيامة؛ لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد من بعد ما تبين لهم الهد، ومن بعد أن كانوا في دين الله!».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثل هذا المعنى في نصوص كثيرة في «الظلال» وغيره من كتبه.

وقال -غفر الله له- في «المعالـم» صفحة (٩٨): «ما هو المجتمع الجاهلي؟».

ثم عرَّفَهُ قال: «إن المجتمع الجاهلي هو كل مجتمع غير المجتمع المسلم».

ثم ذكر صورًا من صور المجتمع الجاهلي، ثم قال صفحة (١٠١): «وأخيرًا يدخل في إطار المجتمع الجاهلي[١] تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة».

فالمقصود: أن سيدًا -غفر الله له- كان غاليًا في التجريح جدًّا، بل هو إمام أئمة الغلو فيه، وقد رمى عمرًا رضي الله عنه بالكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم، وجرَّدَه رضي الله عنه من كل فضيلة، مع أن سيدًا مَدِينٌ لعمرو رضي الله عنه خاصة بإسلامه -أي: بإسلام سيد نفسه-؛ لأنه ما من مصري مسلم إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله رب العالمين إلا ولعمرو بن العاص خاصة رضي الله عنه في عنقه دَين كبير، وجميل جليل، فعمرو رضي الله عنه هو قائد الأجناد الذين فتح الله بهم مصر،

(١) الذي هو سوى المجتمع المسلم.

وأجداد أجداد سيد -عفا الله عنه- إلى زمن الفتح ممن دخل في الدين إنما أسلموا بسبب عمرو وجنده -رضي الله عنهم أجمعين-.

وفي الحديث الذي رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**»[(١)].

فما سجد سيد لله سجدة، ولا كتب حرفا يُرضي الله، ولا كُتِب في صحيفة حسناته حسنة إلا ولعمرو ﷺ مثلها.

أفهذا هو رد الجميل؟!

أفهذا هو رد الجميل؟!

لقد طاش قلم سيد في أعراض جملة من الصحابة الكرام -رضي الله عنهم أجمعين-، فطال قلمه معاوية وعمرًا وأبا سفيان وهندًا، بل طال قلمه

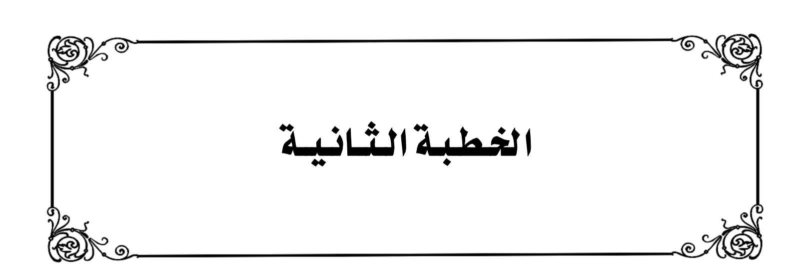
---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (ح٢٦٧٤).
وأخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة (ح٤٦٠٩)، وأخرجه الترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة (ح٢٦٧٤)، وقال: «حديث حسن صحيح».
وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب من سن سنة حسنة أو سيئة (ح٢٠٦).
جميعًا من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة، كان له من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**».

الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﵁، وأسقط خلافته من الخلافة الراشدة، واعتبرها فجوة بين خلافة عمر وخلافة علي -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- في كلام يجيء إن شاء الله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ﷺ.





الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ﷺ.

أما بعد:

فقد قال سيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام» طبعة دار الشروق لسنة (١٩٧٥) صفحة (٢٣٠)، لعل الطبعات بلغت إلى الآن عشرين طبعة أو تزيد، كما أن طبعات «الظلال» ربما وصلت الآن إلى الأربعين إن لم تكن تجاوزته.

قال سيد -غفر الله له-: «نحن نميل إلى اعتبار خلافة علي رضي الله عنه امتدادًا طبيعيًّا لخلافة الشيخين قبله[١]، وأن عهد عثمان الذي تحكم فيه مروان كان فجوة بينهما».

قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «العقيدة»:** «ونُثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولًا لأبي بكر رضي الله عنه تفضيلًا وتقديمًا على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم لعلي رضي الله عنه، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون»[٢].

---

(١) يعني: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٢) التقريرات السلفية على العقيدة الطحاوية، لأبي محمد عبد الله بن محمد سعيد رسلان يسر الله إتمامها.

عقيدة أهل السنة: أن خلافة عثمان كانت من الخلافة الراشدة، فجاء سيد رَحِمَهُ اللَّهُ فأسقط خلافة عثمان من الخلافة الراشدة.

بأي دليل وبأي حجة؟!

وقال في ذات الكتاب صفحة (٢١٢): «وأخيرًا ثارت الثائرة على عثمان، واختلط فيها الحق بالباطل والخير بالشر، ولكن لابد لمن ينظر إلى الأمور بعين الإسلام، ويستشعر الأمور بروح الإسلام؛ أن يقرر أن تلك الثورة في عمومها -أي: الثورة التي أدت إلى مقتل عثمان رضوان الله عليه- كانت فورة من روح الإسلام، وذلك دون إغفال لما كان وراءها من كيد اليهودي ابن سبأ عليه لعنة الله».

فالثورة على عثمان ﷺ التي كان وراءها اليهودي عبد الله بن سبأ -لعنة الله عليه- كانت في نظر سيد وفي حساباته أقرب إلى روح الإسلام من خلافة عثمان الراشدة، ثورة السبئية من أتباع ابن السوداء عبد الله بن سبأ اليهودي، ثورة هؤلاء كانت أقرب إلى روح الإسلام من خلافة عثمان!

تصدقون هذا؟!

يا أهل السنة، يا من تدعون إلى السلفية وتنتسبون إليها!

وقال في الكتاب نفسه صفحة (٢١٣): «مضى عثمان إلى رحمة ربه، وقد خلف الدولة الأموية قائمة بالفعل بفضل ما مكن لها في الأرض، وبخاصة في الشام، وبفضل ما مكن للمبادئ الأموية المجافية لروح الإسلام -يعني: كان عثمان يعمل ضد الإسلام وضد روح الإسلام؟!- من إقامة الملك الوراثي، والاستئثار بالغنائم والأموال والمنافع، مما أحدث خلخلة في الروح الإسلامي

العام، وليس بالقليل ما يَشِيع في نفس الرعية إن حقًّا وإن باطلًا أن الخليفة يُؤثر أهله، ويمنحهم مئات الألوف، ويعزل أصحاب رسول الله ﷺ ليُوَلي أعداء رسول الله ﷺ».

عثمان يستأثر ويولي أعداء رسول الله ويعزل أولياء رسول الله!

يولي أعداء رسول الله ويعزل أولياء رسول الله!

إلى آخر ما قال من طعنه في الخليفة الراشد عثمان -رضوان الله عليه-.

طغى قلم سيد، وأطلق كلامًا في الذين فضلهم عمر وعثمان في العطاء، وهؤلاء في الجملة هم من المهاجرين والأنصار من أهل بدر وبيعة الرضوان وأهل الشورى، فكان عمر يفضلهم في العطاء، وكان عثمان على سَنَن عمر يفضلهم في العطاء -رضوان الله عليهم أجمعين-.

فقال سيد في الكتاب نفسه صفحة (٢١٦): «ولقد كان من الطبيعي ألا يرضى المُستَنفِعُون[1] عن علي، وألا يقنع بِشِرعَة المساواة من اعتادوا التفضيل، ومن مَردوا على الاستئثار؛ فانحاز هؤلاء في النهاية إلى المعسكر الآخر معسكر أمية حيث يجدون فيه تحقيقًا لأطماعهم على حساب العدل والحق اللذين يصر عليهما علي رضي الله عنه هذا الإصرار».

الكتاب في جملته طعن في أصحاب النبي ﷺ، وتطاول على الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين-.

---

(١) الصحابة من المهاجرين والأنصار من أهل بدر وبيعة الرضوان وأهل الشورى كانوا من المستنفِعِين؟!

سنعود إلى تفصيل ذلك يومًا من الدهر -إن شاء الله جل وعلا-، فنسرد ذلك ونكشفه في ضوء الكتاب والسنة؛ ليحيا من حي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

بل طغى قلم سيد وطاش فنال من نبي الله وكليمه موسى ﷺ.

فقال في كتابه «التصوير الفني في القرآن» تحت عنوان (رسم الشخصيات في القصة) صفحة (١٦٢-١٦٣- ١٦٤) قال: «ولنأخذ موسى عليه السلام؛ إنه نموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج».

لو قلت: لعل سيدًا كان في ذلك الوقت متأثرًا بالدسائس التي كانت تُحاك في الفترة الملكية من حياة مصر، بل ما كان هنالك في أيام الحرب العالمية الثانية، وما وقع من أدولف هتلر[1]، وموسوليني[2]، وأولئك الطغاة، فكان يكتب؛ فإن القول هاهنا ينبغي أن يُقال فيه ما يُصححه، لو أن المرء كان متأثرًا في الكتابة عن أولئك السادة الكرام بهذا الذي يكتبه، وهذا الذي يسطره عن أولئك الطغاة، أفيُقال عن موسى عليه السلام نموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج؟!

لو قيل لك هذا؛ فإن الصورة الذهنية التي ستأتي إلى خاطرك هي: أن الذي سيتكلم عنه من كَتَبَ هذا -مادمت لا تعلم بعدُ عمن يتكلم- أنه

(١) هو أدولف هتلر الدكتاتور النازي، زعيم ألمانيا النازية، ومؤسس النازية، ولد في (٢٠ إبريل ١٨٨٩م)، وأقدم على الانتحار في (٣٠ إبريل ١٩٤٥م).

(٢) هو ببينيتو موسوليني الديكتاتور الإيطالي، زعيم الحركة الفاشية، ولد في (٢٩ يوليو ١٨٨٣م)، كان من الجبابرة، أذلَّهُ الله، وتم إعدامه في (٢٨ إبريل ١٩٤٥م).

سيتكلم عن أدولف هتلر أو واحد من أولئك الطغاة.

زعيم مندفع عصبي المزاج، زعيم!

ما دخل الزعامة في النبوة؟!

مندفع!

غير مسدد بالوحي هو؟!

عصبي المزاج!

يخضع للتحليل النفسي في مدرسة سيجموند فرويد؟![(١)].

يقول: «فها هو ذا قد رُبي في قصر فرعون، وتحت سمعه وبصره، وأصبح فتى قويًا: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص:١٥]».

قال سيد: «هنا يبدو التعصب القومي، كما يبدو الانفعال العصبي، وسرعان ما تذهب هذه الدفعة العصبية، فيثوب إلى نفسه؛ شأن العصبيين.

﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:١٥-١٨]».

---

(١) هو سيغموند فرويد اليهودي صاحب مدرسة التحليل النفسي، ولد في النمسا (٦ مايو ١٨٥٦م)، كان ملحدًا في نهاية عمره، نظريته في التحليل النفسي غاية في السوء، توفي في (٢٣ سبتمبر ١٩٣٩م).

قال سيد: «وهو تعبير مصور لهيئة معروفة: هيئة المتفزع المتلفت المتوقع للشر في كل حركة، وتلك سمة العصبيين أيضًا، ومع هذا، ومع أنه قد وعد بأنه لن يكون ظهيرًا للمجرمين؛ فلننظر ما يصنع إنه ينظر: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾، مرة أخرى على رجل آخر ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص:١٨]، ولكنه يهُم بالرجل الآخر كما هم بالأمس ويُنسِيه[1] التعصب والاندفاع استغفارَه وندمَه وخوفَه وترقبه».

لو قيل هذا عن آحاد الصالحين لكان سيئًا، وكان مردودًا، فكيف وهو يقال لكليم الله موسى -صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وسلم-؟!

قال -أي: سيد-: «لولا أن يذكره من يهم به بفعلته فيتذكر ويخشى ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: ١٩].

وحينئذٍ يَنصح له بالرحيل رجل جاء من أقصى المدينة يسعى، فيرحل عنها كما عَلمنا، فلندعه هنا لنلتقي به في فترة ثانية من حياته بعد عشر سنوات؛ فلعله قد هدأ، وصار رجلًا هادئ الطبع حليم النفس، كلا! فها هو ذا يُنادى من جانب الطور الأيمن: أن ألق عصاك. فألقاها؛ فإذا هي حية تسعى، وما يكاد يراها حتى يثب جريًا لا يعقب ولا يُلوَى، إنه الفتى العصبي نفسه، ولو أنه قد صار رجلًا؛ فغيره كان يخاف نعم، ولكن لعله كان يبتعد منها، ويقف

(١) أي: يُنسِي موسى.

ليتأمل هذه العجيبة الكبرى».

وأجزم أن سيدًا لو كان حيًّا لو كان شاهدًا ما وقع لموسى من تلك المعجزة، وأعطاه الله رب العالمين الحياة إلى يوم القيامة؛ لكان في جريه إلى يوم الناس هذا.

قال: «ثم لندعه فترة أخرى لنرى ماذا يصنع الزمن في أعصابه(١) لقد انتصر على السحرة، وقد استخلص بني إسرائيل، وعبر بهم البحر، ثم ذهب إلى ميعاد ربه على الطور، وإنه لنبي(٢)، ولكن هاهو ذا يسأل ربه سؤالًا عجيبًا: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾.

ثم حدث ما لا تحتمله أية أعصاب إنسانية، بَلْهَ أعصاب موسى، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣].

عودة العصبي في سرعة واندفاع!(٣) ثم هاهو ذا يعود، فيجد قومه قد اتخذوا لهم عجلًا إلهًا، وفي يديه الألواح التي أوحاها الله إليه، فما يتريث وما يَنِي، ﴿وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ﴾ [الأعراف:١٥٠].

وإنه ليمضي منفعلًا يشد رأس أخيه ولحيته، ولا يسمع له قولًا: ﴿قَالَ

(١) نعم كان ينبغي أن يقصد طبيبًا يعالجه!

(٢) يتكلم عنه وهو يعلم أنه في هذا المقام، مقام الأنبياء.

(٣) يعني: كان يجب عليه أن يتروى لكي يستغفر ويتوب ويعود!

يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾[طه:٩٤].

وحين يعلم أن السامري هو الذي فعل الفعلة؛ يلتفت إليه مغضبًا، ويسأله مستنكرًا حتى إذا علم سر العجل: ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [طه:٩٧]. هكذا في حنق ظاهر وحركة متوترة».

قال: «فلندعه سنوات أخرى، لقد ذهب قومه في التيه، ونحسبه قد صار كهلًا حينما افترق عنهم، ولقي الرجل الذي طُلب إليه أن يصحبه ليعلمه مما آتاه الله علمًا، ونحن نعلم أنه لـم يستطع أن يصبر حتى ينبئه بسر ما يصنع مرة ومرة ومرة فافترقا».

ثم قال: «تلك شخصية موحدة بارزة، ونُموذج إنساني واضح في كل مرحلة من مراحل القصة جميعًا».

قال: «وتقابل شخصية موسى شخصية إبراهيم، إنه نُموذج الهدوء والتسامح والحلم: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود:٧٥]».

والإتيان بهذه الصورة في مقابل شخصية موسى عليه السلام من باب قولك: وبضدها تتميز الأشياء.

فهل هذا كلام يقال في حق كليم الله موسى؟!

أن يُغفر لقائل الكلام أو لا يُغفر، لا شأن لنا به، أن يُنْزل الفردوس

الأعلى أو قرارة الجحيم، لا علاقة لنا بذلك، نسأل الله أن يغفر له، ولكن هذا الكلام يا أصحاب العقيدة الصحيحة: كيف يُسكت عليه وهو يُتداول بين الشبيبة؟ في هذا الكتاب الذي وسمه بـ: «التصوير الفني في القرآن»، وجمع فيه من كل موبقة، وهو يُدَرس في كليات الآداب، وفي كليات اللغة العربية، ويُنَوه به، ويُعلَى من ذكره، وفيه هذه الطامة وحدها، ولو كانت وحدها في كتاب لاستحق إعدامه.

وبعد:

فإن هذه المسألة قد صارت لأهل السنة محكًّا، ولمسيرتهم مَضِيقًا، والحق فيها واضحٌ وضوحًا لا يلتبس إلا على جاهل أو ذي هوى، فعلينا أن نرد الأمور إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وأن نتجرد من أهوائنا متذكرين قول ربنا سبحانه: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٣٥].

فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا.

وقوله -أي: ونتذكر قوله- تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨].

ولنعلم أن الذي يُثير الفتن ويؤجج نارها هو الذي يخالف الكتاب

والسنة، وأن الذي يأمر الناس باتباع الكتاب والسنة، واتباع السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان هو ساعٍ في رفع العداوة والبغضاء عن الأمة.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [المائدة:١٤].

فنسيان حظ -أي: ترك قدر- مما ذُكرت به الأمة من الكتاب والسنة مستجلب للعداوة والبغضاء بين أبنائها، والساعي في التذكير بالكتاب والسنة هو ساعٍ في رفع العداوة والبغضاء عن الأمة[١].

لـما تأملت في تلك المسألة بشِقَّيْهَا وجدتها أوضح من الوضوح، وأجلى من الشمس في رائعة النهار في كبد السماء ليس دونها غمام ولا سحاب ولا ضباب، فعجبت!

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١/ ١٤): «قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [الشورى:١٤]، فأخبر أن تفرقهم إنما كان بعد مجيء العلم الذي بيَّن لهم ما يتقون، فإن الله ما كان ليضل قومًا بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون.

وأخبر أنهم ما تفرقوا إلا بغيًا، والبغي مجاوزة الحد، كما قال ابن عمر: الكبر والحسد؛ وهذا بخلاف التفرق عن اجتهاد ليس فيه علم، ولا قصد به البغي، كتنازع العلماء السائغ، والبغي إما تضييع للحقِّ، وإما تعدٍّ للحد، فهو إما ترك واجب، وإما فعل محرَّم، فعلم أن موجب التفرق هو كذلك.

فلمَ الخلاف إذن؟!

لِـمَ الخلاف وما سببه؟!

الأمر واضح جدًّا، وجلي جدًّا، والأمر في المنتهى أمر عقيدة، ومصائر الناس -لثالث مرة- وأقدارهم في الآخرة لا يتدخل فيها أحد، لأننا لا نشهد لأحد بجنة ولا نار إلا من شهد له النبي المختار، هذا أصل من أصول عقيدتنا أهل السنة، ولا نقول لأحد شهيد.

وفي «**البخاري**»: «باب: لا يقال فلان شهيد»[1].

---

(١) هذا الباب رقم (٧٧) في كتاب الجهاد من الصحيح، وانظر الفتح (٦/ ٨٩).

وورد ذلك في عدة أحاديث صحيحة، منها:

١- ما رواه البخاري (٢٨٢٩)، ومسلم (٣/ ١٥٢١/ ١٩١٤) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله**».

٢- ما رواه البخاري (٢٤٨٠)، ومسلم (١/ ١٢٥/ ١٤١) عن عبد الله بن عمرو: أن النبي ﷺ قال: «**مَن قُتل دون ماله فهو شهيد**».

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في الجواب عن فتوى وجهت له هذا نصها: ما حكم قول فلان شهيد؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: الجوابُ على ذلك أن الشهادة لأحد بأنه شهيد تكون على وجهين: أن تُقَيَّدَ بوصفٍ، مثلَ أن يُقالَ: كلُّ مَن قُتِل في سبيلِ الله فهو شهيدٌ، ومَن قُتِل دونَ ماله فهو شهيدٌ، ومَن مات بالطاعونِ فهو شهيدٌ، ونحوَ ذلك، فهو جائزٌ، كما جاءت به النصوص؛ لأنك تَشْهَدُ بما أَخْبَرَ به رسولُ الله ﷺ.

ونعني بقولِنا: جائزٌ، أنه غيرُ ممنوعٍ، وإن كانت الشهادةُ بذلك واجبةً؛ تصديقًا لخبرِ

=

رسولِ اللهﷺ.

أن تُقيَّدَ الشهادةُ بشخصٍ معينٍ، مثلَ أن تقولَ لشخصٍ بعينِه: إنه شهيدٌ، فهذا لا يَجوزُ إلا لمن شَهِد له النبيُّ ﷺ، أو اتَّفَقَت الأمةُ على الشهادةِ له بذلك.

وقد ترجم البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ لهذا بقولِه: باب لا يُقالُ فلانٌ شهيدٌ، قال في الفتح (٩٠/ ٦): أي: على سبيلِ القطعِ بذلك إلا إن كان بالوحي.

وكأنه أشار إلى حديث عمرَ أنه خطَب فقال: تقولون في مَغازيكم: فلانٌ شهيدٌ، ومات فلانٌ شهيدًا، ولعله قد يكونُ قد أوْقَر راحلتَه، ألَا لا تقولوا ذلك، ولكن قولوا كما قال رسول اللهﷺ: «**من مات في سبيل الله، أو قُتِل فهو شهيدٌ**».

وهو حديثٌ حسنٌ أَخْرَجَه أحمدُ، وسعيدُ بنُ منصورٍ، وغيرُهما، من طريقِ محمدِ بن سيرينَ، عن أبي العَجْفاءِ، عن عمرَ. اهـ كلامه.

ولأن الشهادةَ بالشيء لا تكونُ إلا عن علمٍ به، وشرطُ كونِ الإنسانِ شهيدًا أن يقاتل لتكون كلمةُ الله هي العليا، وهي نيةٌ باطنةٌ، لا سبيلَ إلى العلمِ بها.

ولهذا قال النبيُّ ﷺ مُشيرًا إلى ذلك: «**مَثَلُ المُجاهِدِ في سبيلِ الله، واللهُ أعلمُ بمِن يُجاهِدُ في سبيلِه**».

وقال: «**والذي نفسي بيدِه، لا يُكْلَمُ أحدٌ في سبيلِ الله، واللهُ أعلمُ بمِن يُكْلَمُ في سبيلِه إلا جاء يومَ القيامةِ، وكَلْمُه يَثْعَبُ دمًا، اللونُ لونُ الدم، والريحُ ريحُ المِسكِ**». رواهما البخاريُّ، مِن حديثِ أبي هريرةَ.

ولكن مَن كان ظاهرُهُ الصلاح فإننا نَرْجُو له ذلك، ولا نَشْهَدُ له به، ولا نُسِيءُ به الظنَّ، والرجاءُ مرتبةٌ بين المرتبتين، ولكننا نُعامِلُه في الدنيا بأحكامِ الشهداءِ.

فإن كان مقتولاً في الجهاد في سبيل الله دُفن بدمِه في ثيابِه، مِن غيرِ صلاةٍ عليه، وإن كان مِن الشهداءِ الآخَرين فإنه يُغَسَّلُ، ويُكَفَّنُ، ويُصَلَّى عليه.

ولأننا لو شَهِدَنا لأحدٍ بعينِه أنه شهيدٌ لَزِمَ مِن تلك الشهادةِ أن نَشْهَدَ له بالجنةِ، وهذا

=

=

خلافُ ما كان عليه أهلُ السنةِ، فإنهم لا يَشْهَدون بالجنةِ إلا لَمن شَهِدَ له النبيُّ ﷺ بالوصفِ، أو بالشخصِ.

وذهَب آخرون مِنهم إلى جوازِ الشهادةِ بذلك لمن اتَّفَقَت الأُمةُ على الثناءِ عليه، وإلى هذا ذهَب شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ -رحمه الله تعالى-.

وبهذا يَتَبَيَّنَ أنه لا يَجوزُ أن نَشْهَدَ لشخصٍ أنه شَهيدٌ إلا بنصٍّ، أو اتفاقٍ، لكن مَنْ كان ظاهرُه الصلاحَ فإننا نَرْجُو له ذلك، كما سبَق، وهذا كافٍ في مَنْقَبتِهِ.

وعِلْمُهُ عندَ خالقِه ﷻ.

وسئل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: هل يجوز إطلاق «شهيد» على شخص بعينه، فيقال: الشهيد فلان؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يجوز لنا أن نشهد لشخص بعينه أنه شهيد، حتى لو قتل مظلومًا، أو قتل وهو يدافع عن الحق؛ فإنه لا يجوز أن نقول: فلان شهيد.

وهذا خلافًا لما عليه الناس اليوم حيث رخصوا هذه الشهادة، وجعلوا كل من قتل -حتى ولو كان مقتولاً في عصبية جاهلية- يسمونه شهيدًا، وهذا حرام؛ لأن قولك عن شخص قتل: هو شهيد، يعتبر شهادة، سوف تسأل عنها يوم القيامة، سوف يقال لك: هل عندك علم أنه قتل شهيدًا؟

ولهذا لما قال النبيﷺ في حديث البخاري (٢٧٨٧): «**ما من مكلوم يُكلم في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة، وكلمُه يثعَبُ دمًا، اللون لونُ الدَّم، والريح ريحُ المِسْك**».

قلت: قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح مسلم (٧/ ٢٩): قولهﷺ: «**يثعب**» هو بفتح الياء والعين، وإسكان المثلثة بينهما، ومعناه: يجري منفجرًا؛ أي: كثيرًا، وهو بمعنى الرواية الأخرى: «**يتفجر دمًا**». اهـ

فتأمل قول النبيﷺ: «**والله أعلم بمن يكلم في سبيله**»، «**يُكْلَم**»؛ يعني: يُجرح، فإن =

مَنْ أَدْرَاك؟

ونسأل الله أن يكون قد ختم لمن مات من أهل القبلة بخير، وأن يختم لنا بخير، وأن يحشرنا جميعًا في الجنة على سرر متقابلين، وأن ينزع ما في قلوبنا من الغل لإخواننا من المؤمنين والمسلمين والمحسنين الذابين عن دين رب العالمين؛ إنه على كل شيء قدير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ﷺ.

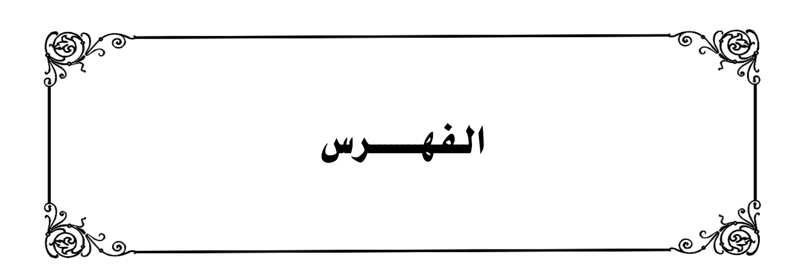
❊ ❊ ❊

=

بعض الناس قد يكون ظاهره أنه يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ولكنَّ الله يعلم ما في قلبه، وأنه خلاف ما يظهر من فعله، ولهذا بوَّب البخاري رَحِمَهُ اللهُ على هذه المسألة في صحيحه، فقال: باب لا يقال: فلان شهيد؛ لأن مدار الشهادة على القلب، ولا يعلم ما في القلب إلا الله عَزَّ وَجَلَّ.

فأمر النية أمرٌ عظيم، وكم من رجلين يقومان بأمر واحد، يكون بينهما كما بين السماء والأرض، وذلك من أجل النية، فقد قال النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**». والله أعلم.

راجع المناهي اللفظية لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (١٤٧-١٤٨) دار ابن الجوزي.



الفهـــرس